من ذنوب احدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم
عليه وذلك ان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان
في قلبه ومن كان كذلك لا يكن مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وان هذا هم الكفر هو استهزاء وخبث وتلاعب بهم
بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا حكي عن علي بن ابي طالب انه قال لا تقبل توبته
بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة وقوله تعالى **لم يكن الله ليغفر لهم** يعني ما اقاموا
على الكفر وماتوا عليه وذلك ان الله تعالى اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف من كفرهم **ولا ليهديهم سبيلا** يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين
قوله تعالى **بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما** يعني اخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان اخبر
تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير سار وقيل
معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى **الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين** يعني
يتخذون اليهود اولياء وانصارا او بطانة من دون المؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا
يتم امره فيتولون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين **ايبتغون عندهم العزة** يعني ايطلبون
من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه **فان العزة لله جميعا**
يعني فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز اولياءه واهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين **وقد نزل عليكم** يعني يا معشر المسلمين **في الكتاب** يعني في القرآن **ان اذا سمعتم
آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها** قال المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو
قوله تعالى في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وهذا انزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزئون به في مجالسهم ثم
ان احبار اليهود كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم
في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله **فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره** يعني حتى يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه
وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة **انكم
اذا مثلهم** يعني انكم يا ايها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله اذا رضيتم بذلك فانتم وهم
في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر وخالط اهله
كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا
له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه اهون من المجالسة مع الرضى وان جلس مع
صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته او منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز
بحال والاول اصح **ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** اي انهم اجتمعوا في
الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل
الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير او شر **فان كان
لكم فتح من الله** اي ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم **قالوا** يعني المنافقين لكم **الم نكن
معكم** يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل معناه الم نكن على دينكم وفي
الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة **وان كان للكافرين نصيب** اي دولة وظهور
على المسلمين **قالوا** يعني المنافقين للكفار **الم نستحوذ عليكم** الاستحواذ هو الاستيلاء
والغلبة يقال استحوذ على فلان اي غلب عليه والمعنى الم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم

وامركم

وامركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه الم نغلبكم على رايكم **ونمنعكم من المؤمنين** يعني من صولتهم
والدخول فيهم وقيل معناه الم نوقع المؤمنين نخذلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم
فهاتوا نصيبا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار فان قلت لم سمي ظفر المؤمنين
فتحا وسمي ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين
امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دنيوي
خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من
المسلمين **فالله يحكم بينكم يوم القيامة** يعني الفريقين فريق المؤمنين وفريق الكافرين والمعنى انه وضع
السيف عن المنافقين في الدنيا لاجل اسلامهم بل اخر عذابهم الى يوم القيامة **ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا** وفيه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس ان المراد به في القيامة
بدليل انه عطف قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روي ان رجلا سال علي بن ابي طالب عن هذه الآية
ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة
المؤمنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين
على المؤمنين سبيلا بان يمحو دولة المؤمنين بالكلية او يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المؤمنين وقيل
معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة
ويتفرع على ذلك مسائل من احكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري
عبدا مسلما ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان المسلم
لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية قوله عز وجل **ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** يعني يعاملون
الله وهو مجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون لهم
الاسلام ويبطنون لهم الكفر وهو خادعهم والله مجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم
القيامة كما يعطى المؤمنون فيمر المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين **واذا قاموا
الى الصلاة** يعني المنافقين **قاموا كسالى** يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم لا ... يتقون بها
لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا لان الداعي الى
فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور **يراءون الناس** يعني انهم لا يقومون
الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس
ما صلى منافق **ولا يذكرون الله الا قليلا** قال ابن عباس انما قال ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة
ولو ارادوا به ذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد
بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم احد من المؤمنين لا يتكلفون فعلها
مذبذبين بين ذلك يعني متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا
مع المشركين المصرحين بالشرك وقوله تعالى **لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء** يعني ليسوا مع المؤمنين حتى
يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار **ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا** يعني طريقا الى الهدى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة
العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه
المتحيرة المترددة لا تدري لاي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا لا تدري الى اين
تذهب وهذا مثل المنافق فمرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين او ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين
قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين** لما ذم الله عز وجل الكافرين
بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يعني لا تتولوا الكفار من دون
اهل ملتكم ودينكم فتكونوا مثلهم وجبت له النار من المنافقين والسبب في هذا النهي ان الانصار بالمدينة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)